

الفئة الاوليفاركية نشأتها وأثرها الاقتصادي والاجتماعي لمكة عصر النبوة دراسة في القرآن الكريم

أ. د. زمان عبيد وناس

كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة كربلاء

الملخص

يهتم البحث في عرض اثر راس المال الحاكم القرشي - اصحاب المأ - في المجتمع المكي ، سيما العامة من القوم والعبيد ، الذي القى بظلاله بشكل رئيس على مسار الدعوة النبوية الشريفة في مكة ، فما برح النبي صلى الله عليه واله بفعل ذلك التأثير ان غادر مكة ، مسقط رأسه وموطن عشيرته الاقربين نحو المدينة المنورة ليقوم امر الله عز وجل ويعلن دولة الاسلام ، معتمدين على آيات القرآن الكريم مصدرا أساسيا استسقينها منها معلوماتنا ، محاولين فيه الإجابة عن عدة تساؤلات هي : هل أن آيات القرآن الكريم تعطي صورة حقيقية عن كيفية ظهور هذه الفئة الاجتماعية ونموها الاقتصادي والمالي بشكل كبير ، وهل أن العامل الديني والجغرافي السبب الوحيد في ظهورها ، وهل لهذه الفئة ونموها الاقتصادي من اثر ظاهر على واقع المجتمع المكي الاقتصادي وتركيبية صورته الاجتماعية ، أي هل لهذه الفئة القدرة على رسم واقع ذلك المجتمع حتى تجعله يسير في فلكها كيفما تشاء وفقا لمصالحها الاقتصادية .

ويمكنني حقا أن اجمع هذه التساؤلات بسؤال واحد وهو هل إن لآيات القرآن الكريم المختلفة أن تعطينا رسما حقيقيا واقعيا لصورة ذلك المجتمع المكي في القرن السابع للميلاد وحراك الفئة الاوليفاركية الرأسمالية ومدى تأثيرها في ذلك المجتمع ومن ثم اثرها في قيام الدعوة النبوية ومسيرتها حتى القرن الثامن للهجرة .

**Oligarchic Class and its influence on
the Economic conditions in Mecca in
The seventh century A.D. : A Study in
the Holy Qur'an**

Prof. Dr. zaman Obaid Wannas

**College of Education for Humen science / University of
Karbala**

Abstract

Qur'an is not a mere religious scripture of an absolute religious trait or an idea which doesn't go beyond this description. Saying this is considered today as a casual talk far from what the scientific researchers specialized in Qur'an interpretations have approved whether historical and economical . Rather it is economical and sociological matter , beside the political matter with a humanistic complete value. Materialistic realism is represented by it , which ,I mean, the old political economical and social human movement , which also applies in its effect on our human present and future time in general. I can simply say that Quran came to lead the human beings all over the years .I do not specify here a particular religion , Islam or else , but it has a heavenly heritage which guides all the people .Its

rich culture makes everyone rational being say that without fanaticism . Away from the search about the human importance of the Quran , this research deals with the Meccan oligarch class and its influence on the Meccan economy during the seventh century A.D depending on verses from the Holy Quran as a major source of information . It seeks to answer the following questions . 1. Did the verses of the Holy Quran give a real picture about the emergence of this social class and its large economic and financial growth? 2. Is the religious factor the only cause for its emergence ? 3. Is there for this class and its economic growth a clear influence on the life of the Meccan society and its social structure , i.e. does this class have the ability in making the reality of the society in order to make it run in its orbit in the way this class want and according to its economic interests . These questions can be grouped in one question which is " Do the different Quran verses give us real and authentic description for the picture of that Meccan society in the 7th century A. D. and the capitalist Oligarch movement and its influence on it? In this case , it is necessary that we first study the factors which helped in the building up of oligarch searching in the Quran verses , then the beginning of its economic activity arriving to commercial financial and banking powerful abilities . It can be said that these were gigantic from the end of the sixth century A. D. to the seventh century .It made Mecca a great commercial regional centre at that time , then we try to find out the influence of this capitalist class on the economic activity on that city and society as well and the social effect of this class on it .

المقدمة :

لم يكن القرآن مجرد كتاب مقدس ذي طابع ديني محض ، وفكرة لا تتعدى هذا الوصف ، وان القول بهذا يعد اليوم قولاً جزافاً بعيداً عما أثبتته الأبحاث العلمية المتخصصة في تفسير القرآن ومن ضمنها التاريخية والاقتصادية ، بل هو بمفهومه الشمولي مسألة اقتصادية واجتماعية ، فضلاً عن كونه مسألة سياسية ، ذا قيمة إنسانية متكاملة .

فالواقعية (المادية) متمثلة فيه ، واقصد في ذلك ذلك الحراك البشري السياسي والاقتصادي والاجتماعي الضارب في القدم، الذي في الوقت نفسه ينطبق في استمراريته على حاضرتنا ومستقبلنا البشري عموماً ، أقول بكل بساطة : إنما جاء هذا القرآن لهدي كل بني البشر على مر السنين ، وأنا هنا لا احدد دين بعينه ، إسلامي أو غيره ، إنما لأنه يمثل ارث سماوي فيه هدي للناس أجمعين (عباد الله) فتفاقت الغنية تجعل كل صاحب لب سليم يقول ذلك بعيداً عن التعصب .

وبعيداً عن الغور بحثاً عن الأهمية الإنسانية للقرآن الكريم فأنني في بحثي هذا اصبوا في واقع الأمر إلى دراسة الفئة الاولياركية المكية وأثرها في الواقع الاقتصادي والاجتماعي المكي في القرن السابع للميلاد وما واجهته الدعوة المحمدية من غطسة الملاء ورؤوس امواله ، وقد اعتمدت على آيات القرآن الكريم مصدراً أساسياً استسقي منه معلوماتي ، محاولاً فيه الإجابة عن عدة تساؤلات هي : هل أن آيات القرآن الكريم تعطي صورة حقيقية عن كيفية ظهور هذه الفئة الاجتماعية ونموها الاقتصادي والمالي بشكل كبير ، وهل أن العامل الديني والجغرافي السبب الوحيد في ظهورها ، وهل لهذه الفئة ونموها الاقتصادي من اثر ظاهر على واقع المجتمع المكي الاقتصادي وتركيبه صورته الاجتماعية ، أي هل لهذه الفئة القدرة على رسم واقع ذلك المجتمع حتى تجعله يسير في فلكها كيفما تشاء وفقاً لمصالحها الاقتصادية .

ويمكنني حقا أن اجمع هذه التساؤلات بسؤال واحد وهو هل إن لآيات القرآن الكريم المختلفة ان تعطينا رسما حقيقيا واقعيا لصورة ذلك المجتمع المكي في القرن السابع للميلاد وحراك الفئة الاوليفاركية الرأسمالية ومدى تأثيرها فيه .

وفي هذه الحالة فان من الواجب علينا إذن أن ندرس أولا المقومات الرئيسة التي ساعدت على نشوء الاوليفاركية ، ثم بدايات نشاطها الاقتصادي وصولا إلى إمكانياتها التجارية والمالية المصرفية القوية ، التي يمكنني أن أقول عنها : أنها كانت عملاقة . بكل ما تحمله الكلمة من معنى . منذ أواخر القرن السادس للميلاد وصولا إلى السابع منه ، جعلت من مكة محطة تجارية إقليمية كبرى في ذلك العصر ، ثم نحاول أن نبحت في مدى اثر هذه الفئة الرأسمالية على النشاط الاقتصادي لتلك المدينة ومجتمعها وآثارها الاجتماعية فيه .

إذن وفقا للشروط التي ذكرناها سلفا، التي أردنا أن تكون فيها الآيات القرآنية هي الراسم الحقيقي لمنهجنا البحثي ، فضلا عن أنها تمثل مادتنا العلمية الرئيسة ، فان محورنا الأول في البحث هو دراسة مرحلة ظهور المدينة التي كانت أساس وجود الفئة الاوليفاركية ، ثم بروز هذه الفئة على مسرح الأحداث التاريخية ونموها اقتصاديا وما ترتب على ذلك من آثار في مجتمعهم المكي .

فمكة لم تكن في القرون الأولى الميلادية سوى قرية على هامش الصحراء ، تشكلت أول أمرها بفضل عامل ديني ، فقبل ميلاد سيدنا المسيح قدم إليها إبراهيم عليه السلام بمشيئة إلهية ، فانزل ذويه فيها . ابنه إسماعيل وزوجه هاجر . ويومها لا قاطن فيها حتى ظهر الماء فأنت جرحم ، قال المفسرون : ولما ظهر الماء لهما بمكة عكفت الطير والوحوش إلى الماء ونظرت جرحم إلى تعكف الطير على ذلك المكان فاتبعوها حتى نظروا إلى امرأة وصبي في ذلك الموقع وقد استظلوا بشجرة وقد ظهر الماء لها ، قالوا لهاجر : من أنت ، قالت : أنا أم ولد إبراهيم خليل الرحمن ، فقالوا لها أيتها المباركة أتأذنين أن نكون بالقرب منكما ، فقالت : حتى يأتي إبراهيم ، فلما جاء إبراهيم (ع) أذن لهم فنزلوا بالقرب منهم وضربوا خيامهم فأنسوا هاجر

وإسماعيل (ع) وكثر الناس من حولهم^(١)، فتحققت رغبة إبراهيم (ع) وهوى إليها الناس ((فَاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ))^(٢)، وكانت جرهم قد وهبت لإسماعيل كل واحد شاة أو شاتين وكانوا يعيشون بها ولما بلغ إسماعيل مبلغ الرجل أمر الله إبراهيم أن يبني قواعد البيت^(٣)، وإن طهر بيتي من الشرك وعبادة الأوثان للمقيمين بمكة من أهلها^(٤)، ويشير إلى ذلك القرآن قائلا: ((وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ))^(٥) فرفع إبراهيم (ع) القواعد: ((وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ))^(٦)، فكان إسماعيل^(٧) (ع) يأتي بالحجارة وإبراهيم (ع) يبني ويقولان: ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم، وأخذا كلما استدارا وارتفع البناء يقولان قولهم الأول، حتى أتما البناء وأقاما البيت .^(٨)

فكانت غاية تكوينها دينية سماوية، قال تعالى: ((وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ))^(٩)، وبذلك فإن بنيان الكعبة كان سبب بنيان مكة وعمارتها، فكانت الكعبة (الْبَيْتِ الْعَتِيقِ) أقدس أقداس العرب في ذلك العصر، فهو الغاية والمقصد وعنده تلقى الرحال ويبطل السفر لأنهم قد انتهوا إلى غاية المقصود^(١٠)، قال تعالى ((إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ))^(١١).

وكان أول دين فيها دين الأحناف (دين إبراهيم الخليل) ((حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ))^(١٢)، وبعد الإيذان في رفع القواعد أمر الله سبحانه أن يؤذن للناس بحج هذا البيت لكل من آمن بدين إبراهيم عليه السلام ((وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ))^(١٣)، فصار البيت قياما ومعاشا للناس ((جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ))^(١٤)، فكان البيت قياما لمعيش الناس ومكاسبهم، فبفضله

الفئة الاوليفاركية نشأتها وأثرها الاقتصادي والاجتماعية لمكة عصر النبوة

استتب معاشهم ، واستقامت أحوالهم ، وتوحد جمعهم ، ثم يجتمع به شملهم ، ويدوم دينهم ، وراحوا يحجون إليه من مختلف الأقطار فيشهدون منافع لهم ويسلكون به طرق العبودية لله عز وجل .^(١٥)

وعلى أية حال فقد أنست الناس إليها . مكة . وقصدها العرب ، وكانت أولهم قبائل جرهم اليمانية ، ولما رأى إبراهيم (ع) إقبال جرهم لمجاورة أهله فيها سر بذلك فدعا ربه أن يجعله بلدا آمنا^(١٦)، وجاء في الكتاب : ((وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ))^(١٧)، ربما هذه الآية تعطي رمزا توضيحا لما سوف تؤل إليه المدينة وهي كذلك ، فمآل ديانة مكة هي الوثنية ، لاسيما عصر قبيلة خزاعة المكية التي تزعمت البلاد على حساب قبائل جرهم اليمنيين أنساب إسماعيل (ع)، فمن جرهم تزوج نبي الله إسماعيل بن إبراهيم (عليهم السلام) وتكلم بلغتهم . وكانت العربية . وعاش نسله في جرهم والأمر على البيت لجرهم إلى أن تغلبت عليهم خزاعة فانتزعت منها الملك وزحزحتها عن مكة على اثر خروجها من اليمن ، فكانت خزاعة صاحبة مكة إلى أيام عمرو بن الحارث وهو ابو غبشان ، ومنه انتزع قصي الملك وأخذه من خزاعة لقريش^(١٨) ، فكان هؤلاء الخزاعيين هم النواة الأولى لقيام الفئة الاوليفاركية في مكة التي لم تظهر ملامحها واضحة حتى عصر هاشم بن عبد مناف القرشي الذي أقام إيلاف قريش .^(١٩)

فبعد حين من نزوح خزاعة ، بدا أثرها الديني يسري في مكة بعد انقضاء عهد إبراهيم (ع) فيها بزمان ليس بالطويل ، إذ لجأ سيد مكة الجديد عمرو بن لحي الخزاعي إلى استغلال عامل الدين والطابع القدسي المتفرد لمكة ، كي يأخذ ذلك العامل والطابع الدور الريادي في نهضة مكة (المدينة الجديدة في وسط الصحراء) اقتصاديا وما يترتب عليه من تكوين فئة التجار وظهور قوة سياسية واجتماعية لهذه الفئة الرأسمالية الناشئة .

فأقدم عمرو هذا على جذب آلهة العرب ، موضع التقرب إلى الله زلفى في معتقدات بدو الصحراء وحضرهم آنذاك ((وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ

إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ))^(٢٠)، وكانوا يقولون يقربونا إلى الله تقرباً^(٢١)، فكانت آلهتهم ((أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ))^(٢٢)، وجاء بها وجعلها في جوف الكعبة ومن حولها ، لتكون مركزاً لجميع آلهة العرب وعباداتهم ، ثم وضع ثلاثة أشهر حرم ليسمح في أداء مناسك الحج والوفد إلى مكة ((وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ))^(٢٣)، فكانوا يعكفون على عبادة أصنامهم ((وَبِعِبَادُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ))^(٢٤)، وإنما قصدهم بقولهم هذا : إنما نعبد هذه الأصنام لتشفع لنا عند الله ، فتوهموا أن عبادتها اشد في تعظيم الله ، فحلت بهذا محل الشفاعة أو الشافع عند الله .^(٢٥)

وفي عصر قريش كان أعظم الآلهة وأشهرها هبل الذي كان مصنوعاً من عقيق احمر ، على صورة إنسان مكسور اليد اليمنى فجعلت له قريش يداً من ذهب ، وكان في جوف الكعبة .

وكان لفعل عمر هذا مقاصده الاقتصادية ، ففعل الأشهر الحرم وطقوس الحج ظهرت أسواق مكة ((ثُمَّ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ))^(٢٦)، وراحوا بعد أمد قصير يستغلون أيام الحج وشعائره للتجارة بسوق مكة الكبير (عكاظ) وغيرها من الأسواق مثل سوق المجنة وذو المجار ومنى ، يستثمرونها لمصالحهم الاقتصادية ليستمدوا منها نفوذهم بين العرب ، فمكة مدينة جبال جرد ، تشرف عليها من كل مكان فتزيد من قسوة مناخها ، ليس بها ماء غير ماء زمزم ، أما مياه جارية وعيون غزيرة فليس لها وجود بهذا المعنى ، وكل ما كان يحدث نزول وسيول قد تكون ثقيلة وقوية ، تهبط عليها من شعاب الهضاب والجبال فتتزل بها أضراراً فادحة وخسائر كبيرة ، لذلك لم تصلح أرض مكة لأن تكون أرضاً ذات نخل وزرع وحب ، فاضطر من سكنها إلى استيراد ما يحتاجون إليه من الأطراف واكتفوا في حياتهم مما يكسبوه من الحج ، فتشكلت من جراء ذلك تجارتهم فأسعفتهم وأغنيتهم وضمنت لهم المعاش فيها ، وأمناً وسلاماً يحفظ لهم حياتهم فلا

يطمع فيهم طامع ولا ينغص عيشهم منغص^(٢٧)، إذ إن قوة مكة السياسية والمعنوية مرتكزة على قوة تجارها المتنامية ((وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ))^(٢٨) والقرية هي مكة ، وهي التي أخرجت النبي (صلى الله عليه وآله) ، وفي الآية تقوية لقلبه (صلى الله عليه وآله) وتهديدا لأهل مكة وتحقيرا لأمرهم.^(٢٩)

وحقيقةً بفعل هذه الأسواق زادت قوة الاولياركية المالية أيام قريش وانقضاء عصر خزاعة ، فصاروا اشد بأسا وأكثر جمعا وعددا ، وقالوا مقالة قوم عاد ((وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً))^(٣٠) فاعتروا بقوتهم وعددهم ومالهم ، وصاروا إلى حد كبير يشبهون كهنة أهل الحضارات القديمة في بلاد ما بين النهرين ومصر وغابر الأقوام في شبه جزيرة العرب كعاد وثمود ، فصارت لهم الزعامة الروحية والمالية وهم سدنة الكعبة وأهل الندوة المعروفين بالملا .

ومما زاد من قوة الملا أو الاولياركية المكية هو الوضع السياسي العالمي في تلك الحقب التاريخية لاسيما نهايات القرن السادس وبدايات القرن السابع للميلاد ، فانشغال القوى العظمى بالاحتلال فيما بينها آنذاك ((غُلِبَتِ الرُّومُ ، فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ))^(٣١)، سهل على تجار مكة ان يجوبوا البلاد ليأخذوا دور الوساطة في التجارة الإقليمية وان يحتلوا مكانة مرموقة في التجارة الدولية ومن إشارة القرآنية يفهم عظيم تجارتها ، فقال تعالى ((فَلَا يَغْرُرُكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْبِلَادِ))^(٣٢) أي إقبالهم وإدبارهم وتقلبهم في إسفارهم والله سبحانه أراد أن يهون على نبيه في هذه الآية فقال معنا : فلا يغرك . يا محمد(صلى الله عليه وآله) . تقلبهم في البلاد وتصرفهم في الأموال^(٣٣) ، كذلك قوله : ((اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ، وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ))^(٣٤) فجابت سفنهم البحار التي سخرها لهم وليبتغوا من فضله سبحانه^(٣٥)، فسير الريح في البحر وسهل لهم الأرض ليبتغوا من فضل الله في الرزق والاتجار^(٣٦) ، ((هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ

وَالْبَحْرِ^(٣٧) ، ثم جعل لهم العلامات ليهتدوا بها معروفة المطالع والمغرب والموضع من الفلك^(٣٨) ، فقال جل علاه : ((وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ))^(٣٩) ، فذاع صيت مكة التجاري بين القبائل وبها عُرِفَتْ ، وتمكن رجالها بفضل ذكائهم وحذقهم بأسلوب التعامل من الاتصال بالدول الكبرى في ذلك العهد ، الروم والفرس والحبشة ، وبحكومة الحيرة والغساسنة وبسادة القبائل ، وكونوا علاقات وصلات طبيعية معها ، مع تناحر هذه الدول وتباغضها . مثلما نوهنا آنفا . كما تمكنوا من عقد أحلاف مع سادة القبائل ضمنت لهم السير طوال أيام السنة بهدوء في كل أنحاء الجزيرة العربية ، حتى عرفوا بقریش التجار^(٤٠) ، وفي القرآن كثر من الآيات المباركة تظهر ما كانت عليه قوة تجارة المكين .

لهذا أقول : أن للعامل السياسي العالمي أثره الواضح على تفرد المكين في الوساطة التجارية، لاسيما وان كلا البلدين المتنافسين كانا بحاجة للسلع الهندية الحبشية واليمنية (ومنها العبيد) المارة عبر الصحراء ، فغضوا الطرف وتركوا تجار مكة يجوبون البلاد ، فدخلوا أسواق أقاليم الشمال دونما مضايقة ، فعظمت مضاربتهم التجارية وزادت أموالهم وكثرة رواح قوافلهم ومجبيئها .

والى جانب هذا كان لعامل الجغرافية أثره الظاهر على انحسار شغل المكين في التجارة ، فمكة تقع فوسط الصحراء في واد غير ذي زرع ، قال تعالى : ((رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ))^(٤١) هذا من جهة ، لذلك اكبوا على التجارة حتى ألهمتهم عن غيرها من الأشغال ، الزراعة والصناعة ، وحقا أنهم بفعل هذا العامل كانوا مضطرين أن يتقوتوا من واردات بلاد أخرى ، فموفوراتهم المالية متوقفة على التجارة أو المضاربة بالأموال .

ومن جهة أخرى سهل موقع مكة في صحراء الحجاز أن تتوسط طرق الصحراء وترتبط تجارة الشمال بالجنوب ، فهي عقدة تتجمع فيها القوافل التي ترد من البلاد العربية الجنوبية (اليمن) تريد بلاد الشام أو قادمة من بلاد الشام تريد البلاد

العربية الجنوبية ، فكان لابد لهذه القوافل من أن تستريح في هذا المكان . واعني مكة .
 لتمتار وتتجر وتتزود بما فيه رزق ، فكان أهلها أول أمرهم يعتمدون على ما يجلبه
 لهم التجار من خارج مدينتهم ، ثم ما لبث أهلها أن اقتبسوا من رجال القوافل سر
 السفر وفائدته ، فسافروا أنفسهم على هيئة قوافل تتولى نقل التجارة لأهل مكة وللتجار
 الآخرين من أهل اليمن ومن بلاد الشام ، فلما كان القرن السادس للميلاد احتكر
 تجار مكة التجارة بين الشمال والجنوب ، وقد قلنا آنفا إن للعامل السياسي أثره في
 ذلك ، وسيطروا على حركة النقل في الطرق المهمة التي تربط اليمن وبلاد الشام
 والعراق^(٤٢)، ناقلة بضائع الصين الهند والحبشة واليمن إلى شمال جزيرة العرب
 ومقاطعات بلاد فارس والروم والعكس صحيح ، لذلك كانت مكة مدينة تجارية
 محضة ، لا يفكر مترفوها إلا في التجارة والمضاربة بالمال ، لا يهم أسياها الا جمع
 المال واستثماره بجميع الوسائل المحللة والغير محللة ((الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ
 إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ
 الرِّبَا))^(٤٣) ، ((وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ
 أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ))^(٤٤)، إذن ما علينا إلا أن نعمن النظر بآيات القرآن
 الكريم حتى نقف على حركة التجارة ومدى انهماك أهلها الاوليفاركية فيها وسائر
 الأعمال المالية، فجنوا ((وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ
 وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا))^(٤٥)، ولو بحثنا في القرآن الكريم لوجدنا ان
 عدد الرجال - زمن النبي صلى الله عليه واله - ممن لا تلهيهم تجارة أو مال كان
 قليلا جدا في مكة ((رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ
 الزَّكَاةِ))^(٤٦)، لا بل أن أكثرهم كانوا لما يروا التجارة انفضوا من حول النبي (صلى
 الله عليه وآله) وتركوه قائما ، والقول ينطبق على المدينة أيضا ((وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ
 لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ
 خَيْرُ الرَّازِقِينَ))^(٤٧)، وكذا قوله تعالى ((سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا
 أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِالسِّنْتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ))^(٤٨).

ولما كان الحج من روافد الاتجار وأن أعداد الحجاج ورواد الأسواق المكية كثيرة ، اهتم المكيون من التجار الاوليغاركية بهم وقدموا لهم كل ما كان يحتاجونه من مأكّل ولبس ، فيذكر إن قصي أكد على أهلها لزوم إقراء الضيف ورعاية الغريب والابتعاد عن القتال وحل المشكلات بالتي هي أحسن ، كما نظم أمور الحج ، وجعل الحجاج يقدمون إلى مكة للحج والاتجار ، ثم أكد من جاء بعده من سادة قريش هذه السياسة التي أفادت البلد الأمن ، وأمنت له رزقه رغدا^(٤٩)، لذلك والحال هذه كان التجار مضطرين أن يحتاطوا للأمر فيسيروا قوافل إبلهم في السنة رحلتين ، رحلة الشتاء ورحلة الصيف ((إِبْلَاهِمُ رِحْلَةَ الشَّتَاءِ وَالصَّيْفِ))^(٥٠)، إلى العراق سوريا وفلسطين وجنوب البلاد العربية لبيتاعوا هناك ما كانوا يحتاجون إليه تلبية لسوق الحج، وكذا ليبادلوا بالفائض من التجارة من أجل جمع الأموال ، لذلك يظهر من بعض الآيات القرآنية ان رؤوس الأموال التي كانت في أيدي تجار مكة تبلغ أحيانا مئات الألوف ((وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ))^(٥١).

ولاستمرارية رواح القوافل وغدوها في صحراء نجد والحجاز وتأمينها من صعاليك الطريق وقطاعها ، راح هؤلاء الأوليغاركية (الرأسمالية المكية) يعتنون جيدا باختيار مرافقي قوافلهم التجارية ، ويلجئون إلى استعمال أحسن الخبراء لحراسة قوافلهم ، ويعتمدون على أشهر رجالهم في المعاملات التجارية من ذوي الخبرة التجارية والحنكة السياسية وبعد النظر ، مثل بعض رجالات بني هاشم وأبو سفيان أو غيرهم من المأ ، ومن الهاشميين الذي يذكرهم القرآن الكريم ممن اشتهر بعلو مكانته بين قومه وكثرة أمواله أبو لهب مثلا ((تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ، مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ))^(٥٢).

ولهذا كانوا كلما زاد رأس المال المتاجر به ازداد قلقهم عليها وصعبت مهمة المسؤولين عليها ، لان طرق النقل لم تكن مأمونة الخطر بل كانت عرضة لغزوا قبائل البدوا المعتادة على السلب والكر والفر أو شذاذ الطريق الذين كانوا يعيشون فسادا في الصحراء ، لهذا لجأ مأ قريش إلى عقد الصفقات ((لِإِبْلَافِ قُرَيْشٍ ،

إِلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ((^(٥٣))، مع أرباب القبائل القاطنة على طريق التجارة واستمالتهم بالمال تارة وأخرى بالمصاهرة أو أن يرهبونهم بقوة السلاح ((الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ))^(٥٤)، وفي رواية تزعم إن بدء اشتها قريش بالتجارة ترجع إلى أيام هاشم ، إذ قبله كانت منحصرة في مكة ، يتاجر أهلها بعضهم مع بعض ، فتقدم عليهم العجم عليهم بالسلع فيشترونها منهم ثم يبيعونها بينهم أو لمن حولهم من العرب ، فكانوا كذلك حتى ركب هاشم بن عبد مناف فنزل بقيصر وتعاقد معه على أن يسمح له ولتجار قريش بالاتجار مع بلاد الشام فوافقه على ذلك ، وأعطاه كتابا بذلك ، فلما عاد جعل كلما مر بحي من العرب بطريق الشام اخذ من أشرفهم إيلافا ، فضمن بذلك لقومه حرية الاتجار بأمان وسلام ، واشتهرت قريش بالتجارة منذ ذلك العهد^(٥٥)، ولم تكن قريش تعتمد على القوة في تمشية مصالحها التجارية والمالية بقدر اعتمادها على سياسة الحلم واللين والقول المعسول والكلام المرضي في الوصول إلى غايتها وأهدافها ومصالحها التجارية^(٥٦) ، وكان من آثار موقعها في طريق التجارة ازدياد المال ، وصار موفورا في أوائل القرن السابع ، ودليل ذلك كثرة المرابين والصيارفة ، وكثرة الربا حتى عد مصدرا ثانيا لتجار مكة في جني الربح الفاحش ، إلى الحد الذي جعلت آيات القرآن الكريم تتدد بهم بغير موضع^(٥٧) ، منها ((يَمَحَقُ اللَّهُ الرِّبَا))^(٥٨) ، و ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ))^(٥٩) ، وصار الاتجار بالربا زمن النبي (صلى الله عليه واله) مألوبا في مضاربات السوق ، فهذه الفئة لم يكن يعنيتها إلا جمع الأموال ، فلم تكن ترى فرقا بين التجارة والربا (انظر سورة البقرة اية ٢٧٦ الانفة الذكر)) لان التاجر والمرابي كانا يعاملان المشتري والمستدين معاملة واحدة ، وهي الاستفادة منه قدر المستطاع ، فكانوا هم ((الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ))^(٦٠) ، فتضاربوا بالتبر والدينار والفضة ، وكانوا تارة يزدون وزنها وتارة يخفضون ، أو أن يتلاعبوا بالدين تقديما وتأخيرا بحسب مصالحها ، لذا كان من ابرز سمات تأثيرات تلك الفئة هي أن حولت مكة إلى مدينة رأس مالية قائمة على اقتصاديات الاتجار والمضاربات المالية والمعاملات المصرفية الربوية

على نطاق واسع يتحكم فيها رأس المال إلى درجة كبيرة ، فيرسم سياساتها اتجاه بقية القبائل ويفرض عليها أشكال المعاملات التجارية والمصرفية والنقدية على حد سواء ، الكلمة العليا فيها لأصحاب رؤوس الأموال ، الذين حددوا بدورهم شكل ذلك المجتمع ومكوناته السكانية المبنية على أساس الفئة العليا المتحكمة بمصائر فئات المجتمع الأخرى ، والفئة الدنيا التي تشمل :

أولاً : أحرار مكة القابعيين تحت نير الفقر وثانياً: العبيد المجلوبين خدماً لأسياد مكة ، فحياتهم متوقفة تماماً لإرادة رجال رأس المال ، ولفهم ذلك المعنى راجع سورة النور آية ٣٣ ((وَلَيْسَتَعَفَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَانَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِيَبْتِغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْنَهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ غَفُورٌ رَحِيمٌ))^(٦١) و كذا المنافقون آية ٨ ((يَقُولُونَ لَنْ نَرْجِعَ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ)) ، والشعراء آية ١١١ ((قَالُوا نُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ)) وغيرها من الآيات التي أشارت إلى طبيعة العلاقات الاجتماعية التي كانت تحكم هؤلاء أجمعين ، فكانت نتيجة فعل هذه الفئة دمار المدنيين واستعبادهم وهدر طاقاتهم لتحقيق مكاسبهم بأقذر الطرق والوسائل ، حتى في حالات الربا يجبرون المستدين ممارسة البغاء في حالات ، فلا خلاص منهم إلا بالهرب في جوف الصحراء والتشرد ، أو أن ينحازوا تحت نير العبودية والاسترقاق .

كما إن ذلك الطابع الاجتماعي المتولد من هيمنة الأوليغاركية قد أفرز وجود فئتين مختلفتين في العدد والقدرة من امتلاك المال والعقار ، فئة قليلة تمثل فئة المترفين ملاكين المصارف وأرباب التجارة من ملأ مكة ، وفئة الفقراء والمسترقين من طبقة المعدومين المسحوقين الذين تتوقف حياتهم بإرادة أصحاب اليسار ، الذين لم يتركوا وسيلة في استغلال تعب الفقراء إلا وطرقوها ، وامتهنهم وقاسوهم حتى صارت حياتهم عرضة لمخاطر الموت وعيش الضنك أو الاسترقاق الأبدي ، والمتمعن

الجيد في نصوص القرآن يجد إن هذه الفئة تضم أعدادا غفيرة مقارنةً بقلة فئة الأوليغاركية

كما إن هذا الرسم السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي فرضته الأوليغاركية (الرأسمالية المكية) لم يكن الأبرز خلال هذا القرن فحسب ، أو انه غاية حدود آثارها الاقتصادية وتبعاتها في مكة ، بل ابرز ما يكون أثرها شدة هو مقاومتها العنيفة لإرادة الله ونشر الإسلام وفقا للقرآن الكريم ((وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ))^(٦٢) ، الذي جاء في جزء من مهامه أن يبني هيكلية النظم الاقتصادية وفق ما يراه الشرع معتمدا قواعد جديدة للمضاريات التجارية والمالية ووسائل الاتجار وطرقها ، فضلا عن بناء علاقات اجتماعية جديدة أساسها ((إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ))^(٦٣) ، فلا فرق بين عبيد وسيد أو غني وفقير إلا بالتقوى ، وإن يكون للمحتاج حق في أموال الغني ، يقول القرآن الكريم : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفَاعَةَ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ))^(٦٤) ، ((وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ))^(٦٥) ، وغيرها من القواعد التي صارت تهدد مصالح هذه الفئة . الغنية . في الصميم ، يشير إليها القرآن صراحة فيقول : ((وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ))^(٦٦) ، لذلك حرصوا على استمرارية طبيعة حياتهم ((وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ))^(٦٧) ، فعارضوها بكل ما أوتوا من قوة ((إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ))^(٦٨) ، وقالوا انه . أي الدين الجديد . يخالف ما ألفوه في أعرافهم السالفة ((إِنْ لَّا قَالِ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ))^(٦٩) ، فقالوا: فما هي إلا حياتنا الدنيا نحيا ونموت فلا جنة ولا نار أو ميعاد ((وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ))^(٧٠) ، وكذا قولهم ((إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ

وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ))^(٧١) واحتجوا على النبي (صلى الله عليه وآله) ان من اتبعه من قومهم سفهائهم وفقرائهم ومستترقيهم ، فكانت نظرهم طبقية بحتة ، إذ لا مكان لهم بين من يعدونهم دونهم في الإنسانية ، هذا إذا كانوا يعترفون بهم بشرا أصلا ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ))^(٧٢) .

ولم يكتف القوم بمعارضة النبي (صلى الله عليه وآله) بل راحوا يجبرونه ومن آمن معه أن يتخلى عن ما جاء به ترغيبا وترهيبا ((إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ))^(٧٣) ، ثم طردوهم وهجروهم وحاربوهم حتى تنكفى تلك الثورة الاجتماعية التي أحدثها ودعا إليها (صلى الله عليه وآله) التي اعتمدت التكافؤ في الحياة الإنسانية ، والأفضلية تبنى على أساس التقوى والقرية من الله سبحانه ، واستمرت المناطقات بين الفريقين حتى أذن الله سبحانه بزوال أرباب الأموال والربا من قريش عام فتح مكة على يد النبي (صلى الله عليه وآله) ليعتمد النمط الإسلامي بدل السائد الغابر ، في الاقتصاد والحياة الاجتماعية فساوى اللطف الإلهي العبد بالسيد الحر في المجتمع الإسلامي .

ختاما ومن هذه الآيات إذا تتجلى بوضوح معالم حياة هذه الفئة كيف نشأت وهيمنت وتحكمت بمفاصل الحياة المكية ، وكيف كانت آثارها على الواقع الاقتصادي لمكة ، وما ترتب عليه من رسم للحياة الاجتماعية وحتى الدينية في المدينة ذاتها ، وحقيقة كانت الأوليغاركية من القوة أن استطاعت ان تقارع دولة الإسلام الناشئة في المدينة المنورة طيلة أكثر من عقد وأن تزاخمها وتألّب الناس والقبائل عليها وتحاربها ، فلم تكن نهايتها بالسهلة ابداً ، بل استنزفت طاقات المسلمين مدة طويلة من الزمن من أول ظهور الدعوة المحمدية المشرفة حتى سنة عام الفتح وما تلاه .

الهوامش :

(١) القمي ، ابو الحسن علي بن ابراهيم (ت ٣٢٩هـ) ، تفسير القمي ، صححه السيد طيب الجزائري ، مؤسسة دار الكتب (قم : ١٤٠٤هـ) ج ١ ، ص ٦٠ ؛ الطبرسي ، ابو علي الفضل بن الحسن (ت ٥٦٠هـ) ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، تحقيق لجنة العلماء ، مؤسسة الاعلمي (بيروت : ١٤١٥هـ) ج ١ ، ص ٣٨٩ ؛ الطباطبائي ، السيد محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن (قم : د/ت) ج ١ ، ص ٢٨٨ .

(٢) سورة ابراهيم ، اية ٣٧ .

(٣) القمي ، تفسير القمي ، ج ١ ، ص ٦٠ .

(٤) انظر الطبري، محمد بن جرير (٣١٠هـ) ، جامع البيان (بيروت : ١٩٩٥م) ج ١٧ ، ص ١٨٧ ؛ الطبرسي ، ابو الفضل (ت ٦هـ) ، تفسير جامع البيان (قم : ١٤١٨هـ) ج ١ ، ص ١٤٤-١٤٥ ؛

(٥) سورة الحج ، اية ٢٦ .

(٦) سورة البقرة ، اية ١٢٧ .

(٧) هذا يعني ان اسماعيل عليه السلام كان بالغ حتى يساعد ابيه في رفع قواعد البيت، والا كيف لطف ان يرفع الحجارة ويشارك في البناء ، علما ان مهام نبي الله ابراهيم عليه السلام في مكة كانت رفع قواعد البيت والاذان للناس في الحج فكانت غاية رحلته الى الحجاز من الوهلة الاولى .

(٨) انظر الصنعاني، ابو بكر عبد الرزاق بن همام (ت ٢١١هـ) ، المصنف ، تحقيق حبيب الرحمن الاعظمي، نشر المجلس العلمي (قم : د/ت) ج ٥ ، ص ١١٠ ؛ البخاري، محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦هـ) ، صحيح البخاري (بيروت : ١٤٠١هـ) ج ٤ ، ص ١١٦ ؛ الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ) ، حقائق التاويل في متشابهه التنزيل ، شرحه محمد رضا ال كاشف الغطاء ، دار المهاجر (بيروت : د/ت) ص ١٧٦ ؛ ابن حجر ، شهاب الدين ابن حجر العسقلاني

(ت ٨٥٢هـ) ،الفتح الباري في شرح صحيح البخاري ، دار المعرفة (بيروت:د/ت) ج ٦ ، ص ٢٨٩ .

(٩) سورة البقر ، اية ١٢٥ .

(١٠) انظر ابن حجر ، فتح الباري ، ج ٣ ، ص ٢٤٨ .

(١١) سورة ال عمران ، اية ٩٦ .

(١٣) سورة ال عمران ، اية ٦٧ .

(١٤) سورة ال عمران ، اية ٩٧ .

(١٥) سورة المائدة ، اية ٩٧ .

(١٥) الطوسي، ابو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ) التبيان في تفسير القرآن (بيروت:د/ت) ج ٤ ، ص ٣٠ ؛ الطباطبائي ، السيد محمد حسين ،الميزان في تفسير القرآن ، منشورات جماعة المدرسين في قم (قم :د/ت) ج ٦ ، ص ١٤٢ .

(١٦) انظر البخاري ، صحيحه ، ج ٢ ، ص ١٥٨ ؛ ابن كثير ، ابو الفدا اسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤هـ) ، تفسير القرآن العظيم ، او تفسير ابن كثير ، تقديم يوسف عبد الرحمن ، دار المعرفة (بيروت: ١٤١٢هـ) ج ٢ ، ص ٥٦٠ .

(١٧) سورة ابراهيم ، اية ٣٥ .

(١٨) المسعودي، علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ)، مروج الذهب، مؤسسة الاعلمي (بيروت: ٢٠٠٠م) ج ٢ ، ص ٦٠ ، ص ٢٤٨ ؛ جواد علي ، المفصل ، ج ٤ ، ص ١٣-١٤ .

(١٩) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، منشورات الشريف الرضي (قم: ١٣٨٠هـ ش) ج ٤ ، ص ٢٠ .

(٢٠) سورة الزمر ، اية ٣ .

(٢١) الثعالبي، ابو حمزة (ت ١٤٨هـ) ، تفسير الثعالبي (طهران: ١٤٢٠هـ) ج ٥ ، ٧٩ .

العدد الخامس العشرون (كانون الأول ٢٠١٨)

(٢٢) سورة النجم ، اية ١٩-٢٠ .

(٢٣) سورة الانفال ، اية ٣٥ .

(٢٤) سورة يونس ، اية ١٨ .

(٢٥) انظر الطبري ، جامع البيان ، ج ١١ ، ص ١٢٨ ؛ الطوسي ، التبيان ، ج ٥ ، ص ٣٥٥ ؛ ابن الجوزي ، ابو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ) ، زاد المسير في علم التفسير ، تحقيق محمد بن عبد الرحمن ، دار الفكر (بيروت : ١٩٨٧م) ج ٤ ، ص ١٤ ؛ ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، ج ٢ ، ص ٤٢٦ .

(٢٦) سورة الحجج ، اية ٣٣ .

(٢٧) جواد علي ، المفصل ، ج ٤ ، ص ٥ .

(٢٨) سورة محمد ، اية ١٣ .

(٢٩) الصنعاني ، عبد الرزاق بن همام (ت ٢١١هـ) ، تفسير القرآن ، تحقيق مصطفى مسلم احمد ، مكتبة الرشيد (الرياض : ١٤١٠هـ) ج ٣ ، ص ٢٢٢ ؛ الطبري ، جامع البيان ، ج ٢٦ ، ص ٦٢ .

(٣٠) سورة فصلت ، اية ١٥ .

(٣١) سورة الروم ، اية ٢-٣ .

(٣٢) سورة غافر ، اية ٤ .

(٣٣) الصنعاني ، تفسير القرآن ، ج ٣ ، ص ١٧٨ ؛ الطوسي ، التبيان ، ج ٩ ، ص ٥٥ ؛ الطريحي ، فخر الدين (ت ١٠٨٥هـ) تفسير غريب القرآن ، تحقيق محمد كاظم الطريحي ، منشورات زاهدي (قم : د/ت) ص ١٢٠ .

(٣٤) سورة الجاثية ، اية ١٢-١٣ .

(٣٥) الطبري ، جامع البيان ، ج ٢٥ ، ص ١٨٦ ؛ الطوسي ، التبيان ، ج ٩ ، ص ٢٥٢ .

(٣٦) الطبري ، جامع البيان ، ج ٩ ، ص ١٩٧ ؛ الطوسي ، التبيان ، ج ٥ ، ص ٣٥٩ .

(٣٧) سورة يونس ، آية ٢٢ .

(٣٨) الشافعي، محمد بن ادريس (ت ٢٠٤هـ) ، الرسالة ، تحقيق احمد محمد شاكر، المكتبة العلمية (بيروت : د/ .) ص ٢٤ ؛ ابن قدامة ، عبد الله بن احمد (ت ٦٢٠هـ)، المغني ، تحقيق جماعة من العلماء ، دار الكتاب العربي (بيروت: د/ ت) ج ١، ص ٤٥٨-٤٥٩ .

(٣٩) سورة الانعام ، آية ٩٧ .

(٤٠) جواد علي ، المفصل ، ج ٤ ، ص ١٩ .

(٤١) سورة ابراهيم ، آية ٣٧ .

(٤٢) ينظر جواد علي ، المفصل ، ج ٤ ، ص ٦ .

(٤٣) سورة البقرة ، آية ٢٧٥ .

(٤٤) سورة البقرة ، آية ١٨٨ .

(٤٥) سورة ال عمران ، آية ١٤ .

(٤٦) سورة النور ، آية ٣٧ .

(٤٧) سورة الجمعة ، آية ١١ .

(٤٨) سورة الفتح ، آية ١١ .

(٤٩) جواد علي المفصل ، ج ٤ ، ص ٩ .

(٥٠) سورة قريش ، آية ٢ .

(٥١) سورة ال عمران ، آية ١٤ .

(٥٢) سورة مسد ، آية ١-٢ .

(٥٣) سورة قريش ، آية ١-٢ .

(٥٤) سورة قريش ، آية ٤ .

(٥٥) ابن حبيب، محمد بن حبيب البغدادي (ت٢٤٥هـ)، المنمق في اخبار قريش، تعليق احمد خورشيد احمد فاروق، عالم الكتب (بيروت :د/ت) ص ٤٢ ؛ اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر (ت٢٩٢هـ)، تاريخ اليعقوبي، دار صادر (بيروت:د/ت) ج ١ ، ص ٢٤٢ ؛ الصالحي الشامي ، محمد بن يوسف (ت٩٤٢هـ)، سبل الهدى في سيرة خير العباد ، تحقيق الشيخ احمد عادل ، دار الكتب العلمية (بيروت:١٤١٤هـ) ج ١ ، ص ٢٦٨ ؛ جواد علي، المفصل ، ج ٤ ، ص ٢٠ .

(٥٦) جواد علي ، المفصل ، ج ٤ ، ص ٣٦ .

(٥٧) من أجل ذلك فقد عيرت قريش بانها لا تحسن القتال وانها تجاري وتسايير من غلب وانها لا تخرج الا بخفارة خفير ، وبحلف حليف وبحبل من هذه الحبال التي عقدتها مع سادات القبائل ، فلما سمع النعمان بن قبيصة بن حبة الطائي ابن عم قبيصة بن اياس بن حبة الطائي صاحب الحيرة بسعد بن ابي وقاص قال : انما قريش عبيد من غلب والله ما يمنعون خفيرا ولا يخرجون من بلادهم الا بخفير . انظر الطبري ، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ) ، تاريخ الطبري ، تحقيق نخبة من العلماء ، مؤسسة الاعلمي (بيروت :د/ت) ج ٣ ، ص ٧٥ .

(٥٨) سورة البقرة ، آية ٢٧٦ .

(٥٩) سورة ال عمران ، آية ١٣٠ .

(٦٠) سورة المطففين ، آية ٢-٣ .

(٦١) سورة النور ، آية ٣٣ .

(٦٢) سورة الانعام ، آية ٩٢ .

(٦٣) سورة الحجرات ، آية ١٣ .

- (٦٤) سورة البقرة ، اية ٢٥٤ .
- (٦٥) سورة البقرة ، اية ١٠٢ .
- (٦٦) سورة التوبة ، اية ٢٤ .
- (٦٧) سورة البقرة ، اية ٩٦ .
- (٦٨) سورة الانفال ، اية ٣٦ .
- (٦٩) سورة الزخرف ، اية ٢٣ .
- (٧٠) سورة الانعام ، اية ٢٩ .
- (٧١) سورة المؤمنون ، اية ٣٧ .
- (٧٢) سورة البقرة ، اية ١٣ .
- (٧٣) سورة الانفال ، اية ٣٦ .